السنة: الثامنة المجلد: 08 العدد: 01 ص ص: 555- 582
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

محددات السلوك العائلي كاستراتيجية لتحقيق الأمن الأسري في سورة النساء

Determinants of family behavior as a strategy to achieve family security in Surat An-Nisa

فطيمة الزهراء معاشي*، جامعة باتنة 1-
fatimamaachi835@gmail.com
سعادة مولود، جامعة باتنة 1
mouloud.saada@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/10/25 تاريخ القبول: 2022/11/30

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة المحددات الأساسية للسلوك العائلي انطلاقا من سورة النساء المليئة بأحكام التشريع حول، النساء خاصة والأسرة عامة وذلك من أجل تحقيق الأمن الأسري من خلال استقراء بعض الآيات الخاصة بالأسرة الموجودة في السورة، وكذا بيان المعايير الأساسية التي توجه سلوك الإنسان وتحكم العلاقات الأسرية. وركز البحث على عدة مبادئ يجب أن يطبقها الأفراد داخل الاسرة كالقوامة والحوار والمعاشرة بالمعروف من أجل القضاء على السلوك العدواني وضمان أمن واستقرار الاسرة.

الكلمات المفتاحية: السلوك، ضوابط السلوك العائلي، الأمن الأسري، سورة النساء، العلاقات الأسرية.

* المؤلف المراسل

Abstract:

This research aims to know the basic determinants of family behaviour starting from Surat Al-Nisaa, which is full of legislative provisions on women in particular and the family in general, in order to achieve family security by extrapolating some of the verses on the family found in the Surah, as well as indicating the basic standards that guide human behaviour and govern family relations. The research focused on several principles that must be applied by individuals within the family, such as guardianship dialogue and cohabitation in order to eliminate aggressive behaviour and ensure the security and stability of the family.

Keywords: behaviour, family behaviour controls, Surat An-Nisa, family security, family relations.

مقدمة:

إن الله سبحانه وتعالى لما خلق الإنسان لم يتركه وحده في هذه الدنيا، بل جعل له شريكا ومؤنسا، يؤنس وحشته ويخفف عنه مصاعب الدنيا ومشاكلها، فخلق له زوجة ثم بعدها رزقهم الأبناء زينة الحياة الدنيا كما يعبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى:(المال والبنون زينة الحياة الدنيا ....) (سورة الكهف 46)، فتكونت بذلك أسرة والتي تعتبر الخلية الأساسية واللبنة الأولى لبناء المجتمع، يقول الله عز وجل في محكم تنزيله: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)(سورة النساء آ1).

هذا البث الكثير من الرجال والنساء خلقهم الله فوق هذه الأرض، وحملهم أمانة الاستخلاف وعمارة الأرض، فالإنسان الذي حمل مثل هذه الأمانة لا يمكن أن يكون ذو أصول حيوانية كما تزعم أغلب النظريات الغربية.

فالإنسان بعقله مدرك وواع لما يجري من حوله في بيئته الاجتماعية، ويعرف مكنوناته الداخلية وحاجاته الخارجية، ومتطلباته المعيشية فهو لا يعيش ولا يتصرف كالحيوان، إذا هذا كله نابع من فطرته وسلوكه.

كل هذه الحاجات الفطرية داخل النفس البشرية والمؤثرات الخارجية – المحيط الذي يعيش فيه الإنسان – تعمل على تحريك السلوك الإنساني، ومن أكثر العناصر تأثيرا في سلوك الفرد، الأسرة أو العائلة، فالشخص الذي يعيش

في مجتمع معين مدة معينة من الزمن فإنه يحمل عادات وتقاليد ومبادئ وأخلاق ذلك المجتمع، وكذلك الأسرة.

والقرآن الكريم اشتمل على الكثير من المحددات لسلوك الفرد تجاه الله أولا، ثم مع الناس ثم مع العائلة ومع نفسه، كما يحتوي القرآن الكريم أيضا على حلول كثيرة لمشاكل عدة سواء المرتبطة بالمرأة والأسرة والقضايا الاجتماعية الأخرى من أجل إصلاح الفرد والمجتمع، ومن بين بعض السور الثرية بهذه المواضيع سورة المائدة، الأحزاب، المجادلة، التحريم... هذه السور وغيرها جاءت للتفصيل في الحياة الاجتماعية.

وسورة النساء عالجت هذه المواضيع بشكل أدق وعلى نطاق أوسع، وأول ما بدأت به السورة موضوع وحدة الأصل الإنساني ثم يليه الرابطة الأسرية، بعدها تأتي قضية هامة وهي التوصية باليتامى والمحافظة على أموالهم، ثم بيان حكم تعدد الزوجات وأحكام المواريث، وعقوبة الزنا وشروط التوبة، كذلك فصلت تفصيلا دقيقا في موضوع النساء والتحذير من الاعتداء على حقوقهن والمحارم من النساء والعدل بين النساء، حقهن في الميراث، والعقوبة في حالة الوقوع في الفاحشة، الصلح بين الزوجين، قوامة الرجل على المرأة.

بعد هذا تعرج السورة إلى موضوع طاعة الله تعالى ورسوله وأولي الأمر والإحسان للوالدين والأقارب والجيران، ثم الأمر بأداء الأمانة والحقوق والحكم بالعدل والحث على العمل ووجوب التثبت في الأحكام.

من السلوكيات الحسنة والحميدة التي أقرتها السورة الأمر برد التحية، الاعتماد على مصدر صحيح عند إذاعة الخبر، فضل الكلام النافع، فضل العفو وإبداء الخير، والسلوكيات المرفوضة البخل والرياء، النهي عن الغلو، نقض الميثاق، الجهر بالسوء، حرمة الأموال والأنفس وعقوبة العدوان عليها، اجتناب الكبائر والصغائر من الذنوب، ومن الأمراض الخطيرة التي تهدد المجتمع وتقضي على استقراره وأمنه النفاق والمعاملات الربوية وقد فصلت السورة في هذه القضية تفصيلا شاملا.

ويهدف هذا البحث إلى ما يلي:

- بيان المعايير الأساسية التي توجه سلوك الإنسان داخل الأسرة.

- بيان الأسس التي تحكم العلاقات العائلية من خلال تتبع آيات من سورة النساء.

- تأثر أمن واستقرار الأسرة بسلوك أفرادها.

وللوصول إلى هذه الأهداف تم طرح التساؤلات التالية:

1 -ما المقصود بالسلوك العائلي؟

2 -ماهي محددات السلوك العائلي من خلال بعض آيات سورة النساء؟

3 -كيف يتأثر أمن الأسرة بسلوك أفرادها؟

أولا: تحديد المفاهيم

إن المفاهيم في الدراسات الإنسانية هي التي تحدد دلالات الألفاظ لتجنب التداخل والالتباس وفي هذا البحث تم تحديد المفاهيم التالية:

1-مفهوم السلوك:

أي استجابة أو رد فعل للفرد، لا يتضمن فقط الاستجابات والحركات الجسمية، بل يشتمل على العبارات اللفظية، والخبرات الذاتية، وقدة يعني هذا المصطلح الاستجابة الكلية أو الآلية التي تتدخل فيها إفرازات الغدد حين يواجه الكائن العضوي أي موقف، وعلى الرغم من أن بعض الباحثين يستخدمون مصطلحي: فعل وسلوك بمعنى واحد، إلا أن اصطلاح السلوك أعم من الفع، لأنه يشمل على كل ما يمارسه الفرد، ويفكر فيه، ويشعر به، بغض النظر عن القصد والمعنى الذي ينطوي عليه السلوك بالنسبة للفرد (محمد عاطف غيث، 2006، ص3).

يقصد بالسلوك كل ما يصدر عن الفرد من استجابات للمنبهات (أو التغيرات) التي تؤثر عليه من الخارج "أي من البيئة"، ومن الداخل

(أي التغيرات العضوية التي تحدث في حالة الجوع مثلا) (محمد الصرفي،2007، ص11).

السلوك: لفظ يستعمل لدلالة على كل نشاط يعتمل في نطاق الفرد داخليا أو يعتمل خارجا عنه في نطاق العلاقات المختلفة التي يشترك فيها كطرف من

أطرافها (يوسف ميخائيل أسعد، 1977م، ص 177.). إذ يمكن القول إن السلوك هو كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال وأقوال.

والسلوك هو الشيء الوحيد الذي يمكن ملاحظته من جانب الآخرين، حيث إنهم لا يمكن أن يروا ما بداخل عقلك أو يعرفوا ما تشعر به إلا إذا أخبرتهم به أو أطلعتهم عليه، وكل من هذين الشيئين يعد سلوكا، لذلك فإن البرمجة اللغوية تهتم بالجوانب السلوكية، لتساعد الناس على فهم أفضل لما يقوم به الآخرون والاستجابة له بطرق مفيدة ومناسبة (عبد الناصر الزهراني، وايت وودسمول، 2005، ص19).

2ـمفهوم العائلة: العائلة: شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي يتميز بسيادة القيم العائلية التي تؤكد تبعية المصالح الفردية لمصالح ورفاهية العائلة ككل، ويتميز هذا التنظيم بإحساس أعضاءه القوى بالتوحد والولاء العائلي والعون المتبادل والاهتمام باستمرار وبوحدة العائلة (محمد عاطف غيث وآخرون، 1979، ص 176.).

3ـمفهوم السلوك العائلي: هو كل تلك العلاقات التي تربط الأسرة بالقيم والمبادئ العليا والأخلاق والعادات والتقاليد والثقافات ..وما يترتب عليها من عمليات وانفعالات داخل الأسرة وخارجها، أي كل ما يحدث خارج الإطار الأسري وكيف يؤثر بالسلب أو الإيجاب على الأسرة.

4ـالتعريف بسورة النساء

سورة مكية من السور الطوال في القرآن الكريم وعدد آياتها 176 آية، تحدثت السورة الكريمة عن أحكام الأسرة الصغرى والأسرة الكبرى - المجتمع الإسلامي -.. سميت السورة بهذا الاسم، لأنها افتتحت بذكر النساء، ولكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن، فقد نزل في أحكامهن في هذه السورة أكثر مما نزل في غيرها. (منيرة محمد ناصر الدوسري، 1426هـ، ص175-176.)

5ـ مفهوم الأمن: هو شعور الفرد أو الجماعة بالطمأنينة وإشاعة الثقة والمحبة بينهم، بعدم خيانة الافراد لبعضهم البعض، والقضاء على الفساد بإزالة كل ما يهدد استقرارهم وعيشهم وتلبية متطلباتهم الجسدية والنفسية لضمان قدرتهم على الاستمرار في الحياة بسلام وأمان (http//mawdoo3.com 26/11/2018).

6ـ مفهوم الأمن الأسري: من منظور تربوي إسلامي

هو اطمئنان أفراد الاسرة الواحدة على جميع مناحي حياتهم من الاعتداء المادي أو المعنوي وكل ما يهدد استقرارهم، سواء أكان هذا داخليا على مستوى الأسرة أو خارجيا على مستوى المجتمع.

كما أن هناك مصطلحات لصيقة بالأمن الأسري وتؤدي الى نفس المعنى تقريبا وهي:

أ -التماسك الأسري:

هو الترابط بين أعضاء الاسرة وتحقيق التكامل في الأدوار الاسرية المنوطة بهم جميعا بحسب ما هم مؤهلون له، وبما يحقق في النهاية سعادة الأسرة على الصعيدين الدنيوي والأخروي.

ب -الاستقرار الأسري:

هو تحقيق الراحة والطمأنينة النفسية والمادية في الأسرة.

يتبين مما سبق أن التماسك الاسري والاستقرار الأسري يلتقيان مع الأمن الاسري في الهدف وهو تحقيق سعادة الأسرة في الدارين، وبينهما قواسم مشتركة مثيرة سواء في تأسيس العلاقات الاسرية أو في توزيع الأدوار المتعلقة بأفرادها (ليما محمد أحمد الشوحة وعبد الكريم عبد الله سليمان الرفاعي، أكتوبر 2018 ص 1029. (بتصرف)).

ثانيا: الإطار النظري للسلوك الإنساني

ويشتمل على: أنماط السلوك، مقومات السلوك، دوافع السلوك، أبعاد السلوك، ضوابط السلوك.

1ـ أنماط السلوك

- السلوك العدواني: سلوك يهدف إلى إيذاء الآخرين أو انتهاك حقوقهم للحصول على مكاسب شخصية، أو انه أي تصرف يقوم به الفرد هدفه إلحاق الضرر أو الأذى بالآخرين أو الأشياء، ويطلق على السلوك العدواني أحيانا بالمنافسة غير الشريفة أو الهجوم اللفظي أو إطلاق تعابير معادية دون إنزال الضرر المادي والاكتفاء بالضرر المعنوي.

- السلوك الجازم:

القدرة على التعبير عن المشاعر واختيار الطريقة التي يمكن أن يتصرف بها الفرد والوقوف من أجل حقوقه كلما كان ذلك مناسبا بهدف تحسين النظرة واحترام الذات، والمساعدة على بناء الثقة بالذات حتى يتمكن من الإعراب عن عدم اقتناع أو اتفاقه مع الآخرين كلما كان ذلك ضروريا هذا بالإضافة إلى وضع الخطط وتنفيذها بما يتعلق بتعديل السلوك والطلب من الآخرين بتعديل سلوكهم.....إن التعلم بممارسة السلوك الجازم يساعد الفرد على التفاوض بكفاءة مع الغير. (يوسف ميخائيل أسعد، ص8.).

- السلوك المتجاوب: هو السلوك الذي يبدو به سلوك الإنسان مسيرا بالعاطفة نحو الآخرين، والمقصود بالعاطفة هنا هي المشاعر كالسعادة والفرح والخوف والكراهية...والناس الذين يتصفون بهذا السلوك تكون ردود أفعالهم واضحة ونابعة من مشاعرهم.

- السلوك السلبي: إنه السلوك الذي لا يستطيع الفرد أن يقف مدافعا عن حقوقه أنه يفكر أن ثمة حقوق له، ويسمح للآخرين بالسيطرة عليه، وتسيير وفق أهوائهم وغالبا ما يسلك الفرد مثل هذا السلوك

بسبب فقدانه لقدرته على ضبط سلوكه ومن أكثر المعالم الواضحة في سلوك الفرد السلبي هو قبوله لجميع الانتقادات التي توجه له واعتبارها شيئا صحيحا ويعتذر لكل من يوجه له الانتقادات حتى ولو كانت غير صحيحة.

-السلوك المحفز: إن لكل شخص مقدرة معينة على الإدراك، وفقا لهذه القدرة فإنه يحاول فهم العالم الخارجي المحيط به، ويقوم بتحديد الأهداف التي يود تحقيقها وكذا الطرق والوسائل الملائمة لتحقيق هذه الأهداف، وقد ينتج عن هذا إما النجاح أو الفشل.

- السلوك السوي والسلوك الشاذ: اعتاد الناس التمييز بين العقل والجنون، فالشخص العاقل هو ذلك الذي يتسم بالتفكير السديد والتصرفات المتزنة والاستجابة المعقولة في المواقف المتباينة، أما المجنون فهو الشخص الذي لا يفكر بسداد والذي تتسم تصرفاته بالطياشة والتخبط والمبالغة أو عدم الاكتراث (يوسف ميخائيل أسعد، ص9.).

2ـ مقومات السلوك:

يختلف سلوك الفرد من وقت لآخر ومن شخص لآخر بسبب: (محمد الصرفي، ص25-26)

- الجنس: أي أن تصرف الذكر يختلف عن تصرف الأنثى، فالذكر يتصرف عادة بالجرأة والحدة والمخاطرة بينما تتصف الأنثى بالحذر والحيطة في نفس الوقت.

- السن: يتسم الشباب مثلا بالتهور وسرعة الانفعال بينما يتسم كبار السن بالهدوء والاتزان والتعقل كرد فعل لنفس الموقف.

- الشخصية: تلعب شخصية الفرد دورا رئيسيا في سلوكه فاختلاف خصائص شخصية الأفراد هي التي يحدد ردود أفعاله حيث لا يعقل... أن يتساوى سلوك الشخص السلبي مع سلوك الإيجابي والسلوك الهزلي مع السلوك الجاد ...إلخ

- البيئة الخاصة: هي البيئة المادية والمعنوية التي يعيش الفرد في إطارها

- العوامل البيئية العامة: وهي التي تعتبر محصلة للتفاعلات بين مجموعات العوامل البيئية والعوامل الوراثية.

هذه أهم المقومات التي تفسر أو تحدد اختلاف السلوك عند الفرد.

3ـ دوافع السلوك:

الدافع لغة علم النفس معناه أيضا التحريك، ولكنه لا يقتصر على الناحية الجسمية وحدها بل ينسحب أيضا على الناحية العقلية والوجدانية والاجتماعية ... فالكائن الحي يدأب أبدا على تحقيق التكيف العقلي والجسمي والوجداني ة الاجتماعي كلما وجد نفسه مهددا بفقدان ذلك التكيف أو يكون قد فقده بالفعل.

نستطيع القول بأن ثمة دائرة يمر بها نشاط الكائن الحي، المرحلة الأولى فيها هي فقدان الاتزان ثم تأتي المرحلة الثانية وهي بفقد الدافع لدى الكائن الحي نحو إعادة الاتزان المفقود، ثم تأتي المرحلة الثالث وهي الاهتداء إلى الهدف المنشود الذي يعتقد الكائن الحي شعوريا أو لا شعوريا أنه كفيل بإعادة الاتزان لديه، ثم تأتي أخيرا المرحلة الرابعة وهي تحقيق الاتزان المنشود بالفعل (يوسف ميخائيل أسعد، ص40-42).

فالسلوك الإنساني ذهنيا كان أو معرفيا أو وجدانيا أو حركيا لابد له من دوافع تحركه نحو غايات يحققها

فدوافع السلوك هي كل ما يدفع إلى السلوك من أجل تحقيق هدف أو أهداف معينة (في علم النفس الإسلامي هنالك عوامل غيبية وعوامل مشهودة كلها تعمل كدوافع للسلوك -دوافع غريزية – دوافع مكتسبة – دوافع غير شعورية) (علي أحمد مذكور، 2002، ص 170).

4 -الأبعاد الرئيسية للسلوك:

وتتمثل فيما يلي: (محمد الصيرفي، ص 27)

- البعد البشري: إن السلوك الإنساني سلوك بشري صادر عن قوة عاقلة نشطة وفعالة في معظم الأحيان وهو صادر عن جهاز عصبي.

-البعد المكاني: إن السلوك البشري يحدث في مكان عين البيت، المدرسة، العيادة.

-البعد الزمني: السلوك البشري يحدث في وقت معين... قد يستغرق وقت طويل أو قصير.

-البعد الأخلاقي: إن المعالج السلوكي يجب أن يأخذ القيم الأخلاقية في تعديل السلوك

- البعد الاجتماعي: إن السلوك يتأثر بالقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد المعمول بها في المجتمع، وهو الذي يحكم على السلوك على أنه مناسب أو غير مناسب. (محمد عبد الغاني، 2004م/2005م، ص 93 -95).

5ـ ضوابط السلوك:

توجد لدى كل جماعة مجموعة من القواعد أو ما يطلق عليها الأنماط التي تتخذها الجماعة كإطار مرشد

لسلوك الأعضاء، وغالبا ما تشمل هذه القواعد بجانب المسموح والممنوع، نظاما للمكافأة والعقاب، وتتم

صياغة القواعد السلوكية في كل مجتمع من المجتمعات بطرق متعددة بعضها يكون محددا بدقة ومسجلا

ويخضع للثواب والعقاب العام، والبعض الآخر يخضع للثواب والعقاب الاجتماعي وعلى هذا الأساس

تقسم القواعد السلوكية إلى أربع مجموعات رئيسية (محمد عبد الغاني، ص 93-95).

- القواعد القانونية(المؤسسية) للمجتمع: وهي عبارة عن الدستور العام والقوانين التي يتم تشريعها
- وتحديدها وتنفيذها بواسطة مؤسسات الدولة والسلطة السياسية والحاكمة فيها، ويرتبط الثواب والعقاب
- تطبيق هذه القواعد بمصلحة المجتمع ونموه.
- المحظورات والحركات: وهي القواعد والمعتقدات الراسخة في عمق الأفراد والمجتمع والتي يعتبر
- المساس بها جريمة كبيرة وتظهر إلى مرتكبيها على أنهم خارجين عن المجتمع.
- -الأعراف: هي عبارة عن النواميس الاجتماعية والعادات الحاكمة والتي حددها واتفق عليها المجتمع

وتستمر لفترات طويلة يلتزم بها جميع الأعضاء.

-القواعد العامة(الشعبية) وهي لا تمثل أهمية كبيرة في حياة وأولويات المجتمع، ولكنها تعبر عن أساليب التفكير والعيش والحياة والتعامل عند شعب ما.. وليست هناك عقوبات لمن يخالفها إلا نظرات الاستياء وعدم التقدير والرفض وإذا تمعنا في هذه القواعد نجد أنها من وضع الإنسان (قواعد وضعية) اعتمد عليها حتى يسود بين الأفراد الاستقرار والتفاهم والاستمرار، منها ما هو مدون مثل القانون ومنها ما هو غير مدون كالأعراف، والقواعد الشعبية، لذلك يمكن وصفها بأنها ضوابط وضعية.

ثالثا: مقومات الأمن الأسري

إن الزواج مؤسسة وعلاقة اجتماعية لا غنى عنها، فهي المنبع الذي ينتج منه بناة المستقبل، لهذا كان لابد من الحفاظ على استقرارها وأمنها، وتذييل العراقيل والتحديات أمامها، وعليه فلابد من توفير المقومات حتى تؤدي رسالتها كما يجب، ومن هذه المقومات: (ليما محمد أحمد الشوحة وعبد الكريم عبد الله سليمان الرفاعي، ص 1026).

1.المقومات المعنوية للأمن الأسري: يمكن أن نلخصها في :

أ -الاختيار الموافق لمقاصد الشريعة فعملية الاختيار السليمة تدفع باتجاه اختيار الشخص المناسب لبناء الأسرة الناجحة وفعالية عملية الاختيار تضمن للأفراد الحد الأدنى من حاجاتهم الإنسانية، والتي أبرزها وأهمها المودة والرحمة والسكن والطرفان يجب أن تتفق خبراتهما ومؤهلاتهما وقدراتهما لضمان نجاح الأسرة.

ب -منظومة الحقوق والواجبات الزوجية لكل من الزوجين حقوق وواجبات تعمل على إرساء دعائم الأمن الأسري واستقراره مثل الطاعة، حرمة البيت، الأدب في الحوار، حسن العشرة، النفقة، المداعبة والمزاح، العدالة والمساواة (بين الزوجات) هذه أهم المحاور في منظومة الحقوق والواجبات في بيت الزوجية.

ج -السكن النفسي فقد جعل الله سبحانه وتعالى العلاقة بين أفراد الاسرة علاقة سكن وأمان، ومن تمام نعمة الله على الناس أن جعل أزواجهم من

جنسهم، وجعل بينهم مودة وهي المحبة، ورحمة وهي الرأفة، فالرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها أو رحمة بها.

2 المقومات المادية للأمن الأسري:

في هذا الجزء نقطتين مهمتين وهما:

أ -القدرة على توفير السكن: من أجمل التعبيرات القرآنية (لتسكنوا)التي تصف عمق العلاقة الاسرية، والسكون هنا على نوعين السكون الجنسي وهو الذي يشبع الناحية المادية للإنسان، والسكن المنزلي أي العيش في منزل يحوي جميع أفراد الأسرة.

ب -القدرة على الإنفاق: والنفقة واجبة على الزوج حتى وإن كانت الزوجة غنية ويدخل في عمومها الاطعام والكسوة ولكن يشترط فيها الانفاق دون مبالغة أو تبذير أو بخل، يشكل الفقر والبطالة عبأ كبيرا على الاسرة حيث لا يمكن توفير العيش الرغيد لها مما ينشئ خلافات عائلية مصدرها الحرمان.

بعد هذه اللمحة البسيطة حول الجانب النظري للسلوك والأمن الأسري عامة نعرج الى البيئة أو الوسط الذي يمارس فيه الإنسان هذا السلوك وكيف يؤثر هذا السلوك على العائلة إما بالسلب أو الايجاب. (ليما محمد أحمد الشوحة وعبد الكريم عبد الله سليمان الرفاعي، ص 1029/1027 -بتصرف -).

رابعا: محددات السلوك العائلي في سورة النساء

قواعد السلوك العائلي: الأسرة أو العائلة كما يعرفها كل العلماء هي اللبنة التي تشكل أساس المجتمع والتي تتكون من أفراد تربطهم علاقات، هي من أسمى وأهم العلاقات الإنسانية.

وحتى تعيش هذه الأسرة في سلام وأمان وانسجام، لابد من وجود قواعد سلوك تحكم هذه العلاقات وتنظمها ويتناول هذا السلوك العلاقة بين الرجل وزوجته، وبين الزوجة وزوجها، وكذا علاقة الأب بأولاده وعلاقة الأم بأولادها، وعلاقة الأولاد بالوالدين.

فقد بين الله عز وجل في محكم تنزيله مقومات السلوك الاجتماعي مبتدئا بما يجب أن تكون عليه أفراد الأسرة الواحدة، الى ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين أفراد المجتمع كله. ونظمت آيات القرآن الكريم أسس الحياة الاجتماعية البشرية الكريمة، والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع، يتساوى فيه جميع الأفراد فيما لهم من حقوق يؤدون مقابلها ما عليهم من واجبات (محمد بهائي، 1987، ص 165.).

من هذا المنطلق سنعرض ونحلل موضوع السلوك العائلي في القرآن الكريم وتحديدا في سورة النساء

-السلوك العائلي:

قال تعالى :(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ، وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) (سورة النساء الآية 34 -35.).

جاء في الآيتين الكريمتين ذكر القوامة وصفات المؤمنات وطرق التأديب وكذا كيفية معالجة الخلاف العائلي وسنتطرق أولا الى:

1ـ تفضيل الرجل على المرأة في القوامة:

معنى "قوام" القوام هو المبالغ في القيام، وجاء الحق هنا بالقيام الذي فيه تعب، وعندما تقول فلان يقوم على القوم أي لا يرتاح أبدا. إذن لماذا تأخذ "قوامون على النساء" على أنه كتم أنفاس؟ لماذا لا نأخذها على أنه سعي في مصالحهن؟ (محمد متولي الشعراوي، ص 2193.)

إن تفضيل الرجال في القوامة على النساء يعود إلى الوظيفة التي أسندت إلى الرجل والمتمثلة في الكدح والضرب في الأرض، لكي يكفل ويحقق للمرأة التفوق والمركز لا التعب، وفي المقابل أعطى للمرأة ميزة توازي القوامة وهي كونها سكن وراحة للرجل

-الأفضلية في تحمل المسؤولية والإنفاق على الأسرة كتفضيل بعض الأعضاء على بعض، وليست أفضلية للذكر على الأنثى، فلو قامت هي بالإنفاق على الأسرة لسبب ما، كعجز الرجل فهي أفضل منه في هذه الحالة (عبد العزيز عزت الخياط، 2010، ص29).

وهل قوامة الرجل على بيته تعني منحه حق الاستبداد والقهر؟ بعض الناس يظن ذلك وهو مخطئ، فإن هناك داخل البيت المسلم ما يسمى حدود الله، هذه الحدود هي الضوابط التي تمنع الفوضى والاستخفاف والاستضعاف، ضوابط الفطرة والعقل والوحي التي تقيم الموازين القسط بين الناس، إن البيت ليس وجارا تسكنه الثعالب، أو غابا يضم بين جذوعه الوحوش (محمد الغزالي، 1990، ص 154).

وليست القوامة أن تكون المرأة تحت سيطرة الرجل فيسلبها حقوقها ويطمس شخصيتها، كما يقول سيد قطب:" هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني، ولا إلغاء وضعها المدني -إنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة، وصيانتها وحمايتها. ووجود القيم في مؤسسة ما لا يلغي وجود ولا شخصية ولا حقوق الشركاء فيها، والعاملين في وظائفها. فقد حدد الإسلام في مواضع أخرى صفة قوامة الرجل وما يصاحبها من عطف ورعاية وصيانة وحماية، وتكاليف في

نفسه وماله، وآداب في سلوكه مع زوجه وعياله. (سيد قطب، 1990 ص 652)

2ـ سلوك الزوج مع زوجته: ركز القرآن على واجبات الزوج نحو زوجته، لأنه أقوى الطرفين بما ميزه الله من صفات جسدية وعقلية، ولأنه في الغالب يكون هو البادئ بالعدوان والزواج عقد مكتوب وعهد متعارف عليه بين رجل وامرأة على أن يتعايشا في بيت واحد وأن الزواج شركة بينهما، لكل منهما وظيفته وحقوقه وواجباته فيها: الزوج يعول الأسرة ويدافع عنها، والزوجة تنجب له الأولاد وتتعهدهم بالرعاية والتربية، فضلا عن رعاية شؤون البيت بما يحقق راحة وسعادة الزوجين والأولاد، وبذلك ينشأ مجتمع صغير مترابط برباط وثيق من المحبة والتعاطف والتعاون، هو مجتمع الأسرة. ولا شك أن أقرب الناس للرجل هي زوجته، وأقرب الناس إلى المرأة هو زوجها، يجد كل منهما في الأخر مأمنه ومستودع أسراره وماله، وفي ذلك يقول تعالى: (أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) الآية الأولى من سورة النساء التي بين فيها القرآن الكريم الأسس السليمة التي يجب أن تكون عليها حياة هذا المجتمع الصغير فحدد التزامات وحقوق كل من الزوج والزوجة حيال الآخر، فقد شرع نظم الزواج، وشروطه وضماناته (محمد بهائي سليم، ص 165.).

وكما جعل للزوج القوامة على الزوجة وتقويمها، وحفظ للزوجة حقوقها وكرامتها، فقال:(وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (سورة النساء: الآية رقم 32)

فالحق سبحانه وتعالى خلق الكون وفيه أجناس وكل جنس يشمل أنواعا أو نوعين، وتحت كل نوع أفراد فإذا ما رأيت جنسا من الأجناس انقسم إلى نوعين فاعلم أنهما يشتركان في مطلوب الجنس، ثم يختلفان في مطلوب النوع ولو كانا متحدين لما انقسما إلى نوعين .....وكذلك انقسم الإنسان إلى نوعين إلى

ذكورة تتمثل في الرجال، وإلى أنوثة تتمثل في النساء، وبينهما قدر مشترك يجمعهما كجنس، ثم بينهما اختلاف باختلاف نوعهما

3-سلوك الوالدين مع أولادهما:

من أوثق العلاقات وأنبلها وهي صفة ركبها الله في كل الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم، وهي علاقة غريزية، علاقة اعتزاز ومحبة وغاية من غايات الحياة الدنيا، يحققها الرجل بأن يكون من صلبه وعلى مثاله أولاد يشدون من أزره ويخلدون اسمه ويستمر بهم وجوده، ومن ثم كان أسوأ ما يصيب الإنسان من ألم وبلاء فقد ولد أو أصابته بمكروه كالمرض أو الفشل.

ويمكن الخالق على خلقه بما أنعم عليهم من مال وبنين، وهما قمة نعم الله على الإنسان في حياته الدنيا، ويحذرهم من الافتتان بهما عن ذكر الله وتقواه وينصحهم بإحسان التصرف فيما آتاهم من هذه النعم (محمد بهائي سليم،ص 167).

يقول تعالى: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) (سورة آل عمران: الآية 14)

وقال أيضا:) المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) (سورة الكهف: الآية 46.)

وإذ أنعم الله على الآباء بنعمة الولد، فعلى الآباء حمد الله وشكره على هذه النعمة.

ومظهر هذا الحمد والشكر حفظ هذه الأمانة وتزكيتها بالرعاية الواجبة والتنشئة الصالحة. وليس كالخلق القرآني ما يأخذ به الآباء في تربية أبنائهم ينفعون بها أولادهم وينفعون بها مجتمعهم....

وهذا لقمان يعظ ابنه بأداء حق الله عليه بالعبادات الواجبة وينصحه بالتجمل والصبر والثبات في الشدائد والتواضع أمام الناس.

فالزوجة تقوم بالمسؤولية الكبرى في البيت وهي تربية الأبناء ورعاية شؤونهم وكذا القيام بواجباتها الدينية والاجتماعية تجاه بيتها وأولادها، وكذلك الزوج

الـذي يسـعى ويعمـل علـى راحـة أبنائـه خاصـة الماديـة منهـا وكـذا إعـدادهم وإمدادهم بالمبادئ والقيم التي تساعدهم على الاندماج في الحياة الاجتماعية.

4.سلوك الأبناء مع الوالدين:

جعل الإسلام البر بالوالدين والإحسان اليهما ورعايتهما في مرتبة بعد توحيد الله وعبادته مباشرة، وهذا يدل على رفعة منزلة الأسرة في الإسلام، وضرورة إحاطتها بسياج من الحماية، حفاظا على سلامة الإنسان والمجتمع قال تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) (سورة النساء: الآية 36).

اذ يجب أن تقوم هذه العلاقة على الاحترام والتقدير والحب لما تحملا من تعب ونصب في سبيل تربيته ورعايته، بل لقد جعل الله طاعة الابن لوالديه في المرتبة الثانية بعد طاعة الله الذي خلقهم وسواهم ورزقهم (محمد بهائي سليم، ص 168.).

يقول عز وجل:(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما)(سورة الإسراء: الآية 23)

وليذكر الأبناء فضل والديهم عليهم، وخاصة ما لاقته أمهاتهم من جهد ونصب في حملهم ووضعهم ورضاعتهم، قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير) (سورة لقمان: الآية 18.)

فما أحرى الأبناء برد بعض دينهم لآبائهم، وما أجدرهم بطاعتهم والتماس رضاهم، وما يريد الآباء والأمهات إلا الخير والسعادة، إن الطفل إذا وجد في أبويه القدوة الحسنة والتربية الصحيحة فإنه يتشرب منهم مبادئ الخير والتربية والأخلاق الحميدة التي يشب عليها، فبالسكينة والمودة والرحمة والطمأنينة يشيع الاستقرار النفسي والعائلي، ويكون السلوك العائلي المنشود في الآية قد تحقق.

فمن المعروف أن الفرد يكتسب من طور علاقاته بأبويه مشاعر الأمن والتقدير والانتماء والكفاية، تلك المشاعر التي تساعده على شق طريقه في مستهل حياته نحو تكوين علاقات مرضية بغيره من الناس.

وتتأثر أفكار الطفل عن العلاقات بين الجنسين تأثرا قويا بالعلاقة بين أمه وأبيه، فهو يتعلم كيف يعامل الرجل المرأة من سلوك أبيه تجاه أمه، كما يتعلم كيف تستجيب المرأة للرجل من استجابة أمه لمعاملة أبيه. فإذا كانت العلاقة بين الأم والأب علاقة مشاركة بمعناها الكامل بحيث يتجلى فيها اشتراكهما معا في أعباء البيت ورعاية شؤون الأسرة، وإذا كان كل من الأب والأم يستمتع بصحبة الآخر ويعمل على توسيع نطاق هذه المتعة وتلك المشاركة بحيث تشمل الأطفال أيضا، فإن ما يتعلمه الطفل يتخذ لونا يختلف عن لون ما يتعلمه إذا ما كان أسلوب الأب في البيت يتسم بالاستئثار بالسلطة، أو كان سلوك الأم يتصف بالإسراف في فرض حمايتها على غيرها وفي التسلط أيضا، أو كانت أمور البيت تسيرها الانفعالات دون التفاهم بحيث يقع الطفل نهبا للحيرة والخوف حتى لا يكاد يرى أي الطرق يؤدي به الى ما تشتهيه نفسه من استحسان أبويه ورضاهما، ومن خلال هذا السوك غير السوي للوالدين تبدأ الخلافات العائلية في الظهور بين أفراد الأسرة الواحدة وقد تؤدي الى زعزعت نظام وأمن واستقرار هذه الاسرة (السيد حنفي عوض، 1997 -1998، ص 164 -165.).

5-طرق معالجة الخلاف العائلي (بين الزوجين):

سلك الإسلام في معالجة الخلاف العائلي بين الزوجين عدة طرق منها: - دعا الزوجين إلى أن يشعر كل منهما بمسؤوليته نحو الآخر ونحو أولادهما أمام الله سبحانه وتعالى، فهو المطلع على حسن سلوكهما أو انحرافه، وقد جعل كلا منهما راعيا مسؤولا، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" إلى أن يقول: " والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها" رواه البخاري

- في حالة عدم تحمل كل من الزوجين الآخر وعدم الصبر على الخلاف معه، وفي حالة اشتد الخلاف بينهما بحيث يُخشى من الشقاق والافتراق، أوجب الإسلام أن يُحكّم أهلهما في هذا الخلاف، فيختار الزوج واحدا يمثله، وتختار الزوجة واحدا يمثلها ويجتمعان كمحكمة عائلية ينظران في أسباب الخلاف وعوامله، ويحاولان إصلاح الأمور بينهما بما يستطيعان، ولا ريب في أن كلا من الزوج والزوجة إذا كان راغبا في إنهاء الخلاف وعودة الوئام بينهما إلى سابق عهده فإن الحكمين سينجحان في مهمتهما (مصطفى السباعي، 2003، ص 86.).

فالإسلام يريد التريث في هذه القضايا وإعطاء فرص للصلح، لعلى الزوج يعود الى رشده والزوجة أيضا تنهي الخلاف السائد، لأن أبغض الحلال عند الله الطلاق.

وسوف يأتي الحديث بصورة أوضح عن طرق المعالجة في جزئية أخرى وهي النشوز، في نهاية هذا المقال.

– ربط العقيدة بالسلوك:

إن الإيمان الصادق متى استقر في القلب ظهرت آثاره واضحة في المعاملة والسلوك، والإسلام عقيدة متحركة لا تطيق السلبية، إذ أنها بمجرد تحققها في عالم الشعور تتحرك لتحقق مدلولها في الخارج وتترجم نفسها الى حركة وإلى عمل في عالم الواقع.

فالسرور ثمرة عملية لمن يتحلى بالعقيدة الصحيحة، والطمأنينة القلبية والشعور بخيرية الذات وخيرية المصير... لأن الإنسان عندما يتصرف بمقتضى عقيدته فيؤدي الواجبات كما ينبغي أداؤها ويتجنب المحرمات يشعر بأنه إنسان خير قوي الإرادة.

وإذا تفحصنا العلاقات الاجتماعية في حياتنا المعاصرة نجد أن الاضطراب في السلوك هو الظاهرة السائدة، وأن الابتعاد عن الاستقامة مما تعج به أكثر المجتمعات الحديثة، وهذا دليل واضح ومؤشر قوي على ابتعاد الناس –حتى كثير من المسلمين – عن صفاء عقيدتهم المؤثرة والتزامهم المنضبط بتوجيهاتها. (إبراهيم علي أحمد محمد خليل، 2010، ص 49).

وربط الإسلام بين العقيدة والسلوك ربطا قويا فنقرأ قوله تعالى في سورة النساء:

- قال تعالى:(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)(سورة النساء: الآية 36.).

بدأت الآية بالأمر بعبادة الله تعالى، وعدم الإشراك به، والأمر بالإحسان إلى الوالدين، والأقرباء، واليتامى والمساكين، والجار بأنواعه سواء القريب منك قرابة حقيقة، أو قرابة مكانية، والجار في السفر، وأمرت كذلك بالإحسان إلى ابن السبيل، وختمت الآية بأن الله لا يحب البخيل الذي يقطع إحسانه عن الناس، المختال المتكبر عليهم. يقول الألوسي :" وقدم الله تعالى الأمر بعبادته، لأنه حق الله تعالى، وهو المراد الأعظم، والعبادة هنا هي أقصى غاية الخضوع لله تعالى، والإحسان المأمور به في الآية للولدين معناه: أن يقوم بخدمتهما، ولا يرفع صوته عليهما، ولا يخشن في الكلام معهما، ويسعى في تحصيل مطالبهما، والإنفاق عليهما بقدر القدرة، والإحسان إلى ذي القربى، أي بصاحب القرابة من أخ، وعم، وخال ونحو ذلك، أي الذي قرب جواره، والجار الجنب: أي البعيد من الجنابة ضد القرابة، وهي على هذا مكانية، ويحتمل أن يراد بالجار ذي القربى: من له مع الجوار قرب، واتصال بنسب، أو دين، وبالجار الجنب الذي لا قرابة له ولو مشركا، والصاحب بالجنب: وهو الرفيق في السفر، والمنقطع إليك يرجو إليك نفعك ورفدك، وابن السبيل: هو المسافر أو الضيف، وما ملكت أيمانكم: من عبيدكم وخدمكم (إبراهيم علي أحمد محمد خليل ، ص 49-50).

خامسا: مظاهر السلوك غير السوي من خلال عرض لبعض النماذج

1-عدم تحقيق العدالة بين الزوجات:

الحكمة من الزواج هي الإبقاء على النوع الإنساني بالتناسل، وكذلك حاجة كل من الزوجين الى صاحبه لتحصين فرجه بقضاء شهوة الجماع الفطرية، وتعاون كل من الزوجين على تربية النسل والمحافظة على حياتهن

وتنظيم العلاقة بين الزوجين على أساس من تبادل الحقوق والتعاون المثمر في دائرة المودة والمحبة والاحترام والتقدير.

ان نظام تعدد الزوجات أقره الله تعالى في سورة النساء بقوله:(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ) (سورة النساء: الآية3) وقد شرع لغاية شريفة وهي الرغبة في القيام لليتامى بالقسط، تحقيقا لأمر الله ورعاية لمصلحة اليتامى أنفسهم، وانه ليس مشروعا لمجرد إرضاء النفس وتحقيق الرغبة في النساء، والأصل في الإسلام هو الزواج بواحدة وأرشد الى الاكتفاء بذلك وهو الأقرب الى العدل (خالد حمودي العزاوي، 2021 ص 42).

إن الشرط الذي اشترطه الإسلام لتعدد الزوجات، هو ثقة المسلم في نفسه أن يعدل بين زوجتيه، في المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت والنفقة، فمن لم يثق في نفسه في القدرة على هذه الحقوق، بالعدل والتسوية حرم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة، قال تعالى:(فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة.) (سورة النساء: الآية رقم 3)

وقال عليه الصلاة والسلام: "من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطا -أو مائلا." والميل الذي حذر منه الحديث هو الجور على حقوقها، لا مجرد الميل القلبي، فإن هذا داخل في العدل الذي لا يستطاع، والذي عفا الله عنه وسامح في شأنه، فقال تعالى: (وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) (سورة النساء: الآية رقم 128.). ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول:" اللهم هذا قسمي فيما املك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك" يعني بما لا يملكه، أمر القلب والميل العاطفي إلى إحداهن خاصة. (يوسف القرضاوي،2001، ص352-353.)

فإذا ثبت أنكم لن تستطيعوا أن تعدلوا بين نسائكم عدلا كاملا من جميع الوجوه ولو حرصتم على هذا العدل، فلا تميلوا كل الميل إلى إحداهن بأن تبالغوا في إرضائها والإقبال عليها حتى تصير الأخرى التي ملتم عنها وهجرتموها كالمعلقة، أي كالمرأة التي لاهي بذات زوج فتنال منه حقوقها ولا هي بمطلقة فترجو من الله أن يرزقها بالزوج الذي يكرمها.

من خلال هذه المعاملة السيئة يمتلئ قلب المرأة بالحقد والغيرة والكراهية والعداوة للزوجة الأخرى ويتشرب الأبناء من هذا المنبع الفاسد، فتتحطم أسرة بكاملها وتفقد تماسكها واستقرارها بسبب ميل نفسي كان من الممكن استدراكه بكلمة طيبة.

2ـ الاعتداء على حقوق المرأة المادية والمعنوية:

قال تعالى:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًاكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) (سورة النساء، الآية 19-21.)

نص الله سبحانه وتعالى على النهي عن هذه العادة "ولا تعضلوهن"لما فيها من صريح المخالفة للعدل والتحايل بالباطل للتضييق على النساء وأخذ حقوقهن وما لهن من ميراث أو صداق أو غير ذلك.

فقد كانت المرأة في الجاهلية تعد من المتاع فإذا مات زوجها ورثها أقاربه مع ماله، فجاء القرآن وحرم هذه العادة السيئة لما فيها من احتقار وإهانة للمرأة، فالله سبحانه وتعالى يتوجه بالخطاب للذين آمنوا أن لا يسيروا على سنة الجاهلية في هضم حقوق النساء وجعلهن ميراثا كالأموال والعبيد وتتصرفوا فيهن كما تشاءون، وهن كارهات لذلك.

فالبيت والأسرة يقومان أساسا على الحب والمودة وهذا ما وصى به الإسلام من حسن معاشرة النساء والصبر عليهن إذا كرههن الأزواج، رجاء أن يكون فيهن خير كثير، ولا يبيح عضلهن وافتداءهن أنفسهن بالمال إلا إذا أتين بفاحشة

مبينة بحيث يكون إمساكهن سببا في مهانة الرجل واحتقاره، أو إذا خافا ألا يقيما حدود الله، وفيما عدا ذلك يجب عليه إذا أراد فراقها أن يعطيها جميع حقوقها المادية، دون المساس بشرفها وعفتها وكرامتها، وابتزازها من أجل أخذ بعض مالها(أحمد مصطفى المراغي، 1946، ص 212-213.).

فللزوجة حقوق وواجبات تعمل على إرساء دعائم الأمن الأسري واستقراره، قال تعالى:(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (سورة البقرة: الآية 228).فحسن العشرة قال تعالى: (وعاشروهن بالمعروف) (سورة النساء: الآية 19.)، المعروف هنا شامل لكل أوصاف المعاشرة القولية والفعلية، من حسن الصحبة وبذل الاحسان، وجميل المعاملة وكف الأذى، وتحقيق العدل والمساواة بين الزوجات حتى لا يحدث شقاق وخلاف بينهن، ومن أهم الأسباب التي تؤدي الى الخلافات العائلية هي الجانب المادي، فاذا أنفق الرجل على أسرته وكان كريما مع أهل بيته في مأكلهم ومشربهم وملبسهم، عطوفا عليهم رحيما بالنساء متحملا الأذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وتجعل البيت في سكينة وأمان (ليما محمد أحمد الشوحة وعبد الكريم عبد الله سليمان الرفاعي، ص 1029.).

3-النشوز: عالجت سورة النساء مسألة الخلاف العائلي علاجا دقيقا لما له من آثار سلبية ونتائج غير مرغوب فيها، والتي في الغالب تؤدي الى عدم استقرار الأسرة وتفككها، فالزوج والزوجة هما محور تكوين الأسرة والحاضن الرئيسي للأبناء فكان لزاما الإصلاح بينهما حين نشوب الخلاف من أجل صلاح الاسرة والمجتمع.

والحديث حول قضية الخلاف العائلي أمر يطول شرحه ولكن يمكن أن نختصره في مشكلة واحدة أو سلوك واحد غير سوي يسلكه الزوج أو الزوجة أو كلاهما فينخر الأسرة ويتسبب في انهيارها وهو النشوز، وإذا تتبعنا آيات سورة النساء وطريقة علاج هذا النشوز تبين لنا أنه ثلاثة أنواع:

أ -نشوز الزوجة:

قال الله تعالى:(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ

اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) (سورة النساء: الآية34) والمنهج الإسلامي لا ينتظر حتى يحدث النشوز بالفعل، وتعلن راية العصيان، وتسقط مهابة القوامة وتنقسم المؤسسة الى معسكرين...فلابد من المبادرة في علاج مبادئ النشوز قبل استفحاله...وهدا هو الاجراء الأول –الموعظة - وأول واجبات القيم ورب الأسرة عمل تهذيبي مطلوب منه في كل حالة، ولكن العظة قد لا تنفع لأن هناك هوى غالبا أو انفعالا جامحا ...ينسي المرأة أنها شريكة في مؤسسة وليست ندا في صراع، هنا يأتي الإجراء الثاني وهو الهجر في المضاجع والذي له آدابه وقواعده وهو ألا يكون هجرا ظاهرا ...أمام الأطفال يورث أنفسهم شرا وفسادا، ولا أمام الغرباء يذل الزوجة أو يستشير كرامتها فتزداد نشوزا.

وحين لا تجدي الموعظة ولا يجدي الهجر في المضاجع لابد أن يكون هذا الانحراف من نوع آخر ...ومن مستوى آخر، لا تجدي فيه الوسائل الأخرى ...وقد تجدي فيه هذه الوسيلة...كما يقول الدكتور ألكسيس كاريل:" فربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل الذي تحب نفسها أن تجعله قيما وترضى به زوجا، إلا حين يقهرها عضليا وليست هذه طبيعة كل امرأة ولكن هذا الصنف من النساء موجود وهو الذي قد يحتاج الى هذه المرحلة الأخيرة ليستقيم ...ويبقي على هذه المؤسسة في سلم وطمأنينة. (سيد قطب، ص 654)

هذه هي المراحل الثلاث التي عالج بها القرآن الكريم نشوز المرأة وهي الوعظ والهجر وفي الأخير الضرب وهو آخر العلاج.

ب -نشوز الزوج:

قال الله تعالى: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (سورة النساء: الآية 128) ثم نمضي خطوة أخرى في التنظيم الاجتماعي –في محيط الاسرة - ...فإذا خشيت المرأة أن تصبح مجفوة، وان تؤدي هذه الجفوة الى الطلاق ...فليس هنالك حرج عليها ولا على زوجها أن تتنازل له عن شيء من فرائضها المالية أو فرائضها الحيوية، كأن تترك له جزءا من نفقتها الواجبة عليه، أو أن تترك له قسمتها وليلتها إن كانت له زوجة أخرى...هذا كله إذا

أرادت هي بكامل اختيارها وتقديرها لجميع ظروفها أن ذلك خير لها وأكرم من طلاقها (سيد قطب، ص769.).

وإذا كان الرجل يأبى أن يكون عادلا بين زوجاته، ورفضت الزوجة الصلح والتنازل عن حقوقها، فحينئذ يكون الفراق خير والطلاق هو البديل إذا تعسر الوفاق وهذا معنى قوله تعالى:(وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا) (سورة النساء: الآية130).

ج -نشوز الزوجين: سبق بيان نوعين من النشوز وفيهما يكون أحد الطرفين راغبا في الإصلاح، كارها للنشوز، ولكن النوع الثالث أصعب كون الزوجين معا متنافرين متناكدين وهو ما وصفه القرآن بالشقاق بينهما، اذ أن الطرفين يتباعدان ويزعمان أن الآخر هو المسيء، تقول الآية الكريمة:(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) (سورة النساء: الآية 35) والعلاج في مثل هذا الخلاف حددته الآية ألا وهو الاحتكام وتدخل الأهل للإصلاح، والتدخل الخارجي شرع عندما لا يجدي العلاج الداخلي بينهما فلا يستحب تدخل الأهل بكل أمورهما إلا بعد نفاذ الجهد والسعي في الإصلاح بينهما (عبد الله محمد فهد وانتصار سامي إبراهيم، 2019/2018، ص 51 -52.).

هذا هو المنهج الرباني في معالجة مثل هذا السلوك غير السوي من طرف الزوجين حماية لهما كي يعيشا في مودة ورحمة، وينعم الأطفال بحياة هادئة وسعيدة ومتماسكة وكذا ضمان الأمن والاستقرار للأسرة.

الخاتمة:

لدى الإنسان خصائص تميزه عن سائر المخلوقات فهو وحده القادر على أن يعي كيانه وسلوكه ويختار بين بدائل كثيرة عند قيامه بأي سلوك، بسبب ما يمتلكه من استعدادات ومكونات فطرية، فالسلوك الإنساني تعبير عما في الإنسان من قدرة عقلية وطاقة روحية ومشاعر نفسية .....، كل هذه الأمور لو ترك لها الإنسان العنان أفسدته وأفسدت المجتمع، لذا كان لابد من قواعد وقوانين تضبط هذه القدرات وهذه العلاقات.

وقد توصل هذا البحث إلى أن العقيدة الاسلامية هي الضابط للسلوك العائلي، وهي الموجه والمحدد للفعل والسلوك الإنساني، كما ركزت سورة النساءعلى عدة مبادئ من بينها مبدأ القوامة والاحترام وترسيخ قاعدة الحوار والمعاشرة بالمعروف لمعالجة المشاكل الزوجية والعائلية، والغاية من ذلك هي إرساء البناء الروحي والنفسي والأخلاقي، والقضاء على السلوك العدواني لضمان الاستقرار والتماسك الأسري

سورة النساء أقامت نظام للأسرة يستند الى مجموعة من الأسس والقيم والمعايير والضوابط التي تكفل سلامة الانسان جسميا وروحيا ونفسيا وسلوكيا، هذا السلوك الإنساني الذي وضعته في قالب منطقي حددت له الأبعاد والمعالم حتى لا يضيع الإنسان ولا تضيع أمانة الاستخلاف التي كلف بها في هذه الأرض من خلال:

1 -ضبط العلاقة بين الزوج وزوجته برقة وأدب من اجل إرساء البناء الروحي والنفسي والقضاء على السلوك العدواني بينهما.

2 -إبراز شخصية الرجل المسلم وقوته وإدراكه لمسؤوليته وتفضيله في القوامة.

3 -ترسيخ مبدأ الحوار والمعاشرة بالمعروف لإيجاد الحلول للمشاكل الزوجية قبل أن تسوء الأحوال.

4 -ضبط السلوك العائلي بالعقيدة التي هي الموجه والمحدد للشخصية والفعل الإنساني.

5 -تهدف عملية ضبط السلوك وترسيخ مبدأ الحوار الى حماية الأسرة وأفرادها وضمان أمنهم وسلامتهم.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم علي أحمد محمد خليل، 2010، ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك، دراسة ميدانية على عينة من طلبة الجامعة المصرية، دار السلام القاهرة، ص50/49.
- أحمد زكي بدوي، 2010، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت. بدون سنة.
- الجامعات المصرية، دار السلام، القاهرة.
- حنفي عوض، 1997 -1998، علم الاجتماع التربوي، مكتبة إية القاهرة مصر، الطبعة الرابعة.
- خالد حمودي العزاوي، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، 2021، مكانة المرأة في الأسرة دراسة قرآنية في ضوء سورة النساء، المجلد4 العدد 1.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، 1990، دار الشروق، الطبعة 16 المجلد الثاني الاجزاء1+2.
- عبد الله محمد فهد وانتصار سامي ابراهيم،2019، مجلة مداد الآداب، أسس إصلاح البيت المسلم من خلال سورة النساء، عدد خاص بالمؤتمرات، 2019/02/18.
- عبد العزيز عزت الخياط، 2010، المرأة ومن ترعاه في رحاب القرآن أسرة وطفلا، دار السلام، القاهرة، ط1.
- عبد الناصر الزهراني، وايت وودسمول، 2005، النمدجة السلوكية المتقدمة، دار ابن حزم، ط1.
- علي أحمد مذكور، 2002 – منهج التربية في التصور الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2.
- ليما محمد أحمد الشوحة وعبد الكريم عبد الله سليمان الرفاعي، 2018المؤتمر الدولي الأول، الأمن الأسري الواقع والتحديات، إسطنبول تركيا.13 -14أكتوبر2018.
- محمد الصريفي، ،2007السلوك، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1.

- محمد الغزالي، 1990، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشروق، الطبعة الثانية.
- محمد بهائي، 1979القرآن الكريم والسلوك الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمد عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمد عاطف غيث، 2006، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- محمد عبد الغاني، 2005/2004، حسن مهارات إدارة السلوك الإنساني، متطلبات التحديث المستمر للسلوك، مركز تطوير الأداء والتنمية، مصر الجديدة، ط2.
- محمد متولي الشعراوي، تفسير متولي الشعراوي أخبار اليوم قطاع الثقافة، المجلد الرابع، بدون سنة .
- مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام القاهرة، ط2 2003.
- منيرة محمد ناصر الدوسري، 1426ه، أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1،
- يوسف القرضاوي، 2001، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبة، ط3.
- يوسف ميخائيل أسعد، 1977، السلوك وانحرافات الشخصية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1.